

ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٠٢٤/١١/١٥

يتابع حضرته الحديث عن وقائع من سيرة المصطفى ﷺ ويتكلم اليوم عن

صلح الحديبية: الذي وقع في ذي القعدة في السنة السادسة الهجرية الموافق شهر مارس عام ٦٢٨ الميلادي. واسمه غزوة الحديبية أيضا. وقد أنزل الله تعالى بشأنها سورة كاملة وهي سورة الفتح التي تستهل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

تقع الحديبية على الحدود الغربية من الحرم المكي، يُروى أن النبي ﷺ رأى في المنام أنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة مُحلقين رؤسهم ومُقصرين، وبناء على هذه الرؤيا نادى النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ومن حولهم من الأعراب للخروج معه في هذا السفر. وخرج المسلمون بدون أي سلاح إلا السيوف في أغمادها،

وهناك روايات تذكر أن عددهم كان يتراوح ما بين ألف إلى ألف وسبع مئة.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في أوائل ذي القعدة، وحين بلغ ذا الحليفة صلى الظهر، ثم دعا بالهدي وكانت سبعين ناقة، فقلد بعضها القلائد، وقام بإشعار بعضها، ثم صلى ركعتين، وركب عند مسجد ذي الحليفة، ولبس الإحرام للعمرة لكي يعلم الناس أنه خارج لزيارة بيت الله وتعظيمه. ثم قرأ التلبية كما يلي: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

ولاستطلاع أخبار قريش مخافة أن يريدوا به الشر، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه بسر بن سفيان عينا.

قررت قريش منع المسلمين من دخول مكة رغم علمهم بأنهم لم يأتوا للقتال بل لزيارة بيت الله، وخرج كل من يستطيع حمل السيف لصددهم. ورغم معرفتهم بأنهم لم يأتوا للحرب، جمعوا جيشا قوامه ثمانية آلاف مقاتل مع حلفائهم، وعسكروا في وادي البَدَح غرب مكة، وأرسلوا خالد بن الوليد مع مئتي فارس إلى وادي كُراع الغميم على بعد ثمانية أميال من عُسفان لاعتراض طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، تنحى عن طريق خالد بن الوليد وسلك طريقا آخر حتى وصل الحديبية. حيث وقفت ناقته وامتنعت عن المضي قدما. قال الصحابة: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد تعبت ناقتك، فاركب ناقة أخرى مكانها. لكنه قال: لا، إنها ليست متعبة، بل يبدو أن مشيئة الله تعالى هي أن نزل هنا، ومن هنا سأطلب من أهل مكة بكل طريقة ممكنة أن يسمحوا لنا

بالحج، ومهما وضعوا من شرط ساقبل به. في ذلك الوقت كان جيش مكة على مسافة بعيدة من مكة وكان ينتظر المسلمين. لو أراد صلى الله عليه وسلم لكان بإمكانه دخول مكة دون مواجهة، ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم قد قرر أن يحاول أولاً الطواف بإذن أهل مكة، ولن يقاتل إلا إذا بدأ أهل مكة أنفسهم القتال وأجبروا المسلمين عليه. لذلك، نصب النبي صلى الله عليه وسلم الخيام في الحديبية رغم كون طريق مكة مفتوحاً.

هناك ذكر لبعض المعجزات:

كتب حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله من كتب التاريخ:

خلال السفر (من المدينة إلى الحديبية)، جاء وقت نفذ فيه الماء من كل الأواني إلا الإناء الذي كان يستخدمه النبي صلى الله عليه وسلم. عندما شكا الصحابة من نقص الماء، وضع النبي يده المباركة على فوهة الإناء، وأمال الإناء وقال للصحابة: أحضروا أوعيتكم واملأوها. يقول الراوي إن الماء كان يتدفق من بين أصابعه كأنه نبع جارٍ، حتى أخذ الجميع حاجتهم من الماء وزال عن المسلمين ضيقهم.

عند الوصول إلى الحديبية: وجاء في صحيح البخاري: نَزَلَ (المسلمون) بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى تَمَدِّ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَّحُوهُ وَشَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ.

يروى ناجية بن الأعجم: حين شكى إليه صلى الله عليه وسلم قلة الماء أخرج سهما من كنانته، ودفعه إلي، ودعا بدلو من ماء البئر فجثته به، فتوضأ فمضمض فاه. ثم مج في الدلو فقال لي: انزل بالدلو فصبتها في البئر وأثر ماءها بالسهم. ففعلت، فوالذي بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرني وفارت كما تفور القدر، حتى طمت واستوت بشفيرها، وجعل يغترفون من جانبها حتى نهلوا من آخرهم.

مواقف تربوية ترتبط بهذه الواقعة:

نزول المطر:

ذكر مرزا بشير أحمد رحمته الله نزول المطر بهذه المناسبة وقال بأنه قد ورد في كتب التاريخ: عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح، كان الميدان مليئاً بالماء. فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال للصحابة: هل تعلمون ماذا قال ربكم عن هذا المطر؟ فقال الصحابة كعادتهم: الله ورسوله أعلم. فقال: يقول الله تعالى إن بعض عبادي أصبحوا مؤمنين حقيقيين، وبعضهم وقعوا في حالة الكفر وتزعزعوا، لأن من قال إن المطر نزل علينا بفضل الله ورحمته فقد ثبت على حقيقة الإيمان، أما من قال إن هذا المطر نزل بتأثير هذا النجم أو ذلك، فقد آمن بالشمس والقمر وكفر بالله. فهذا التوجيه المليء بثروة التوحيد، علم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أنه رغم أن الله قد جعل أسباباً مختلفة لتسيير هذا الكون تحت نظام الأسباب والعلل، ولا يمكن إنكار تأثير الأجرام السماوية في أمور المطر وغيره، إلا أن

التوحيد الحقيقي هو ألا تغفل نظرة الإنسان عن الذات الإلهية وراء الأسباب الوسيطة. أي يجب ألا يغفل المرء عن الله تعالى أبداً. فالأسباب وإن كانت من الله تعالى، إلا أنها تعمل بإذنه، وهو خالق كل هذه الأسباب وعلّة العلل في هذا الكون، وبدونه لا تساوي هذه الأسباب الظاهرية أكثر من دودة ميتة.

توزيعه صلى الله عليه وسلم للهدايا: وقد ورد أن عمرو بن سالم وبسر بن سفيان كانا من قبيلة خزاعة، وقدا للرسول صلى الله عليه وسلم إغناما وإبلا كهدية في الحديبية، فأمر بذبح الإبل وتوزيع لحومها على الصحابة، ووزع الغنم عليهم، وأشرك نفسه أيضاً في هذا التوزيع. ثم أرسل لحم الناقة إلى أم سلمة كما أرسل إلى الآخرين، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعضاً من لحم شاته أيضاً، وأمر بإعطاء ثوب كهدية للشخص الذي جاء بالهدية. وكل ما تلقاه صلى الله عليه وسلم من هدايا جمعه في مكان واحد ووزعه على جميع الصحابة. توقف الحديث عن صلح الحديبية إلى هذا الحد.

ثم ذكر حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز بعض المرحومين:

العزيز شهريار ركين بن السيد عبد الله محمد عبد الله وهاب من بنغلاديش. جاء في بيان حادث شهادته أنه بعد الإطاحة بالحكومة في بنغلاديش في الخامس من أغسطس الماضي، وقع في البلاد اضطراب كبير، واستغل معارضو الأحمدية هذا الوضع وهاجموا أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية في أحمد نغر. وحاصروا أعضاء خدام الأحمدية الموجودين هناك للحراسة. وخلال ذلك تعرض العزيز شهريار لإصابة شديدة في رأسه. فظل يتلقى العلاج إلى ثلاثة أشهر ولكنه توفي في الثامن من نوفمبر عن عمر يناهز ستة عشر عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. هكذا نال درجة الشهادة.

قد ضرب الشهيد المرحوم مثلاً للتضحية حتى للكبار. رفع الله درجاته وأهم والديه وذويه الصبر والهمة. السيد عبد الله أسعد عودة الذي كان من الأحمديين العرب القدامى من الكباير، وقد توفي في الآونة الأخيرة عن عمر يناهز ٩٤ عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون.

كان المرحوم قد نشأ في بيت من أكثر بيوت الكباير محبة وإخلاصاً للمبلغين الأحمديين الكرام. لقد ظل المرحوم يرأس خلفاء المسيح الموعود عليه السلام ويكن لهم علاقات الطاعة والولاء منذ عهد المصلح الموعود عليه السلام، وكان من أوائل المنخرطين في نظام الوصية.

خدم الجماعة بعدة مناصب، وقد ساعد المرحوم المبلغ الكريم جلال الدين قمر المرحوم، في مشروع إنشاء المدرسة الأحمدية في الكباير بمبناها الحديث. وكان كاتباً رفيع الطراز، وكتب عشرات المقالات لمجلة "البشرى" عبر سبعين سنة، كما ترجم تفسير سورة الكهف من الإنجليزية إلى العربية ونشرته الجماعة في عهد الأستاذ المرحوم فضل إلهي بشير.

غفر الله له ورحمه ورفع درجاته ووفق نسله أيضا لاقتفاء أثره.